المجال العام والتحول إلى المجتمع الشبكي
"قراءة تحليلية "

م.م . مؤمنة شلبي محمود
أ.د. حسين أنور جمعة – ا.د. سحر حساني بربري
قسم علم الاجتماع – كلية الآداب

الملخص:

إن المتأمل لجذور فكرة المجال العام يجد أنها تتسم بالتعقيد والتنوع، وعلى الرغم من ذلك نجد أن آراء يورجن هابرماس بشأن المجال العام تعد الأبرز من خلال تدشينه لنظريته "التحول الهيكلي في المجال العام"، ومع تحولات السياق العالمي وبزوغ مرحلة ما بعد الحداثة تجددت النقاشات حول فكرة المجال العام ، وأعيدت صياغتها من خلال المجتمع الافتراضي الذي يتسم بتعدد الهويات والتدفق المتعدد والتفاعل المفتوح ، وتحول فيه المستخدمون من مجرد مستقبلين للمعلومة إلى مشاركين في العملية الدينامية التي تتم داخل الشبكات الاجتماعية كوسيط للاتصال الذي يهدف إلى التأثير في المجتمع وفي أجندة صانعي القرار. وتكمن قضية هذه الدراسة في تحليل وإعادة النظر في بنية المجال العام داخل الشبكات الاجتماعية ، والسعي وراء فهم يتماشى مع التحولات البنيوية التي طرأت عليها .

Abstract:

The contemplator of the roots of public sphere idea finds that it is characterized by complexity and diversity .Despite this, we find that Jürgen Habermas's views on the public sphere are the most prominent through his inauguration of his theory "structural transformation in the public sphere". The

idea of public sphere, reformulated through a virtual community characterized by multiple identities, flows and open interaction, in which users are transformed from mere recipients of information to participants in the dynamic process that takes place within social networks as a medium of communication aimed at influencing society and the agenda of decision makers. The novelty of this study lies in the analysis and reconsideration of the public sphere structure within social networks, and seeking an understanding in line with the structural transformations that have taken place.

تمهيد :

إن الإنسان مدني بطبعه بمعنى أن فعله أو سلوكه لا يقف عند حدود الفعل الفردي ، بل إنه يتعدى _ بحكم الضرورة _ إلى الجماعات أو التجمعات البشرية الأخرى التي يجد نفسه مضطراً للتعامل والتعاون معها ، وللدفاع عن مصالح مشتركة . وحيثما وجدت " المصلحة المشتركة " ينشأ المجال العام ، الذي يكون ساحة للقاء أصحاب هذه المصلحة فالمجال العام إذن يتصل بالوجود الطبيعي للإنسان ، أو كحلقة من حلقات التطور العضوي للاجتماع البشري ، الذي تزداد فيه الحاجة إلى تنظيم المساحات المشتركة التي يستفيد منها كل أصحاب المصلحة[1] . ومع التحولات المختلفة في البيئة الاتصالية ، أصبحت نظريات المجال العام تجري تكييفات مع المجتمع لكي تلتقط الديناميات والتغيرات الاجتماعية[٢] .

إن هذه التحولات قد طرحت إشكالية صعبة في فهم علم الاجتماع التقليدي بنظرياته وتياراته للمجتمع الكوني الآلي ، حيث إن العامل المعلوماتي (العامل التكنولوجي – الاجتماعي)هو محرك الجدلية الجديدة ، التي أفرزها التطور المجتمعي عبر آلية الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات [٣] .

وفي هذا الصدد تجددت النقاشات المحيطة بفكرة المجال العام التي طرحها هابرماس ومن سبقه ، وبزغت تساؤلات حول مدى إمكانية أن يصبح الحيز الافتراضي مجالاً عاماً ذا خطاب نقدي ينشأ من خلاله نوع من التأثير على الفعل السياسي ، وهل يمكن أن يعيد تهيئة الأحوال والظروف لإقامة خطاب مثالي عقلانى ، في مقابل وسائل الإعلام التقليدية التي انحصر دورها داخل الحدود الوطنية ، حيث إن الإنترنت عمل على عولمة المجال العام وخلق مساحات للحوار وشكل رأيا عاما يتجاوز الحدود الوطنية [٤] . وذلك على الرغم من أن الكثير من النقديين يرون أن الإنترنت من شأنه أن يقوض المجال العام والتفاعل السياسي والذي هوضروري للمداولات التشاورية الديمقراطية العامة الحقيقية [٥] .

ويطرح التناول التالي التغيرات البنائية التي طرأت على المجال العام بفعل التحولات التكنولوجية واسعة المدى وظهور مايعرف بالمجتمع الشبكي.

أولاً : تحولات السياق العالمي وبزوغ المجتمع الشبكي :

تعرض العالم المعاصر إلى عدد من المتغيرات التي كان من أهمها تنامي ظاهرة العولمة التي تقوم على الارتباط الشديد بين دول العالم وكان لتلك الظاهرة أدواتها التكنولوجية والتي من بينها التطور التكنولوجي الهائل في وسائل الاتصال والاعلام حتي أصبحت الكلمة تشكل محوراً لكل خطاب بدءاً من الخطاب السياسي والاقتصادي وانتهاء بالخطاب الدينى والثقافى ، وأدت هذه الثورة إلى تحويل العالم بطابعه المادي إلى عالم رقمى وافتراضي حيث انتقلت كافة مجالات الحياة

لتأخذ طابعاً رقمياً يدور في فلك الفضاء الإلكتروني ، وظهر مجتمع المعرفة المبني على ثورة المعلومات والمعرفة وشهد العالم اتجاه لانتشار الموجه الديمقراطية والتوجه نحو إتجاه السوق وما كان لذلك من انعكاسات على القيم والمعتقدات والأفكار[٦] .

إن المتأمل للوضع العالمي يدرك أن هناك عدداً من التغيرات لحقت ببنية المجتمع العالمي الراهن والتي يمكن تحديدها على النحو التالي :

التغير الأول : يتمثل في انتقال الإنسانية كلها من نموذج المجتمع الصناعي إلى نموذج حضاري جديد هو نموذج مجتمع المعلومات العالمي ، ومجتمع المعلومات العالمي ليس مجرد مجموعة مترابطة من تكنولوجيا المعلومات ، بل إنه لا يمكن أن ينشأ إلا على أساس توافر الديمقراطية والشفافية ، وحق كل مواطن في الحصول على أية معلومة مجاناً وبسرعة [٧] .

التغير الثاني : التحول والانتقال من الحداثة إلى ما بعد الحداثة ويأتى الأخير كتيار فكري ناقد لمسلمات الحداثة الغربية . وهذا لا يعني أنها نقيض الحداثة كما يعتقد أحياناً ولكن التوصيف الدقيق لهذا التيار أنه مفرط في الحداثة [٨] .

ويسعي فكر ما بعد الحداثة بصفة خاصة إلى تفكيك ما يسمى سرديات التاريخ الكبرى " النماذج الكبري " التي سيطرت على مجتمعات الحداثة أوعلى الأقل العمل على خلخلتها وهى السرديات التي تعبر عن تصور موحد للواقع الإنساني كسرديات التقدم ، العقل ، التنوير ، الحرية ، الصراع الطبقي ، .... إلخ ، حيث يرفض ما بعد الحداثيين أسس الحقيقة الثابته والأسس الموضوعية الثابته التي يمكن أن تقوم عليها الدعاوى في شأن الواقع [٩] .

وبهذه الكيفية تفقد قيمة الإجماع والتفسير الموحد أهميتها في ظل الثقافة الرمزية التي ارتبطت بما بعد الحداثة ، ونتيجة ما حدث من انفصال بين ماهو اجتماعي وما هو ثقافي تحولت

القيم المادية إلى قيم ثقافية حيث حدث انفصال بين الواقع والثقافة في المجتمع الافتراضي على وجه الخصوص إلى أن أصبحت الصور الذهنية ذات المغزى الثقافى التي تبث من خلال الإنترنت لا تعبر عن الواقع الذي انبثقت منه فقط ولكنها أوضحت الصورة أوقع من الواقع في اتجاه ما بعد الحداثة ، معنى ذلك أن ما هو ثقافي سبق ما هو اجتماعى على مستوى الممارسة العملية [١٠] .

وتمثل الحداثة الغربية المشروع الحضاري الأوروبي الذي على أساسه أسست المجتمعات الرأسمالية الصناعية في النقلة التاريخية التي حدثت من المجتمعات الزراعية التقليدية إلى المجتمعات الصناعية الحديثة وقد قامت الحداثة الغربية كمشروع حضاري متكامل على هدى عدد من المنطلقات والمبادئ أولها الفردية والتي كانت تهدف أساساً إلى استخلاص الفرد من بنية المجتمع الإقطاعي الذي أضاع كيانه ولم يتح للفرد أن يكون له ذاتيه مستقلة . وثاني هذه المنطلقات هوالاعتماد على العقلانية ونحن نعرف أن العقلانية لصيقة بالرأسمالية وقد نظر لها العالم الألماني ماكس فيبر ، وثالث هذه المبادئ هوالاعتماد في حل المشكلات على العلم والتكنولوجيا وتطبيق المنهج الوضعي في العلوم الاجتماعية بمعنى عدم بحث أي ظاهرة لا يمكن قياسها ، والمنطلق الأخير هوتبني نظرة خطية عن التقدم الإنساني بمعني أن التاريخ يتقدم صعوداً من مرحلة إلى أخرى [١١] .

ولعل أبرز السمات والخصائص التي صاحبت الحداثة هو ما أطلق عليه أنتوني جيدنز " التباعد بين المكان والزمان " أو الانفصال بين الزمان والمكان ، ويعني ذلك ببساطة أن الحداثة قد مالت – بما تحمله في طياتها من انطلاق ومخاطرة وعقلانية وعلم وقدرة فائقة على التنظيم والمراجعة للأخطاء – إلى أن تبرح مكانها وأن تغير مفهومات الزمان وتكون النتيجة نزوع الثقافة الحديثة الدائم إلى العالمية لأعلى مستوى مثالى بل في أرض الواقع . لقد كانت المجتمعات السابقة على الحداثة ، مجتمعات تقليدية يرتبط فيها الزمان بالمكان ارتباطاً وثيقاً فزمن القدامة زمن مغلق ودوائره المكانية محدودة بنطاقات ثابتة لا تتغير[١٢] .

وإذا ولينا وجهنا الآن إلى التغير الثالث الحاسم في بنية المجتمع العالمي لقلنا أن المجتمع الإنساني ينتقل من حقبة تاريخية كانت تتسم بالأمن النسبي إلى حقبة راهنة يتسم فيها المجتمع الإنساني بأنه يعيش في مرحلة خطر وقد أطلق العالم الألماني ألريش بيك على المجتمع المعاصر بأنه مجتمع المخاطر ، ومصادر الخطر متعدده كالمخاطر البيئية والفقر والإرهاب والمخاطر ذات الطابع العالمي والتي يتقاسم العالم أسبابها ونتائجها [١٣].

فمجتمع المخاطر العالمي باعتباره نمطاً متأخراً من أنماط المجتمع الصناعي تعزى كثير من مخاطره إلى الآثار المترتبة على التقدم الصناعى والتقني والتكنولوجيا ، الذي نحيا في ظله الآن ، مع العمل على تحقيق السلامة والأمن الإنساني الكونى مما أدى لظهور منظمات عبر وطنية تشكل مجتمع مدنى عام في الساحة الدولية تعمل في المجال العام العالمي هذا المجال العالمي هو أبعد من تأثير أي سلطة سيادية ولعل أبرزها الحركات المناهضة للعولمة والتي تهدف للسيطرة على عملية العولمة ومواجهة الجوانب السلبية منها .

والتغير الرابع هو سقوط نظرية الأمن القومى التقليدية وظهور نظرية جديدة بعد سقوط الحدود التقليدية والتي تعبر عنها الأحداث الإرهابية ، فنموذج الأمن القومى الجديد يقوم على أساس التمييز الدقيق بين المركز والهامش والمركز هنا هى الدولة الداخلة بعمق في إطار العولمة والهامش هي مجموعة الدول التي لم تدخل حتى الآن في إطار العولمة وأن الصراع بين المركز والهامش في العقود القادمة هو الذي سيفجر أخطر تحديات الأمن القومى العالمى وليس اكتساب أسلحة الدمار الشامل " ويتجلي ذلك في الجدل بين الاتصال الذي تمثله العولمة والانفصال الذي تجسده القوى الرافضة "هو الذي سيحكم إستراتيجيات الأمن القومي الجديد [١٤] .

وآخر هذه التغيرات هو ظهور العولمة بتجلياتها وتحدياتها السياسة والاقتصادية والثقافية . وأبرز أوجه العولمة في عصرنا الراهن وهو ما يعنينا هنا هو الوجه الاتصالي للعولمة والذي يكاد اليوم

يكون أبرز وجوهها ، ذلك أن الثورة الاتصالية الكبري قد محت حواجز الزمان والمكان أمام البشر ، وانفتحت أبواب الاتصال الإنساني غير المحدود بين الناس والدول والثقافات ، ونظراً لأهمية لهذا الجانب من العولمة جعلت المفكر الإستراتيجي الأمريكي " توماس بارنت " للقول بأن العولمة تكمن أساساً في الاتصال [١٥] .

إن هذه التغيرات تضع تصوراً لروح الحقبة المعاصرة فيما تم تجميعة في عبارة " المجتمع الشبكي " باعتبارها أطروحة تؤكد بعبارات بسيطة أن روح عصرنا هي روح الشبكة ، إذ أن المبادئ التأسيسية للشبكات أصبحت قوة محركة للحياة الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، مما دعي مانويل كاستلز Manuel castells لوصف تلك المرحلة بأنها نزعة تاريخية تنتظم بمقتضاها الوظائف والعمليات الأساسية حول الشبكات على نحو متزايد وتكون هذه الشبكات الوجه الاجتماعي لمجتمعاتنا ، ويعمل انتشار منطق التشبيك على تعديل العمل وثماره تعديلاً جوهرياً في نواحي الإنتاج والتجربة والقوة والثقافة .

ثانياً : المجتمع الشبكي" بداية التواصل الجديد" :

يمكننا القول بأن أطروحة المجتمع الشبكي تصف ما بدا عليه العالم في أواخر القرن العشرين من تغيرات بنيوية وهيكلية لحقت بالمجتمعات في عصر العولمة أوعصر ما بعد الحداثة ، وبناء عليه فإن أطروحة المجتمع الشبكي تشير إلى أن عدداً كبيراً من الممارسات والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تنتظم حول الشكل الشبكي ، هذا الأخير الذي ينشئ ثقافة واقعية افتراضية من التدفقات العالمية التي تتعالى على الزمان والمكان[١٦].

وتنطبق عبارة المجتمع الشبكي على المجتمعات التي تظهر فيها خاصيتين أساسيتان : الخاصية الأولي : تتمثل في أن هذه المجتمعات توجد فيها تقانة معقدة " رقمية على وجه التحديد " من الاتصال وإدارة وتوزيع المعلومات على نحو شبكى ، تقانة تشكل البنية التحتية والأساس

الذي يتوسط عدداً متزايداً من الممارسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، أما الخاصية الثانية والأكثر غرابة ، إذا صح التعبير ، في المجتمعات الشبكية فهي إعادة إنتاج الشبكة ومؤسساتها في كل مكان من المجتمعات الشبكية وبينها ، باعتبارها الشكل الأساسي للتنظيمات والعلاقات الإنسانية ، عبر نطاق واسع من الهيئات والجمعيات الأهلية والسياسية والاقتصادية [١٧] .

ويمثل مجتمع الشبكات مجتمعاً يقوم هيكله الاجتماعي حول شبكات تنشطها تكنولوجيا الاتصال والمعلومات التي تعالج رقمياً وقائمة على تقنيات الإلكترونيات الدقيقة والهياكل الإجتماعية تفهم على أنها ترتيبات تنظيمية للبشر في علاقات الإنتاج والاستهلاك وإعادة الإنتاج والخبرة والسلطة التي يعبر عنها اتصال ذومعنى يستمد رموزه من الثقافة [١٨] .

ويعتبر مجتمع الشبكات العالمي من وجهه نظر كاستلز* بناء ديناميكياً شديد الاستجابة للقوى الاجتماعية والثقافة والسياسة والإستراتيجيات الاقتصادية ، لكن ما يبقى في كل الحالات هو هيمنتها على الأنشطة والأشخاص من خارج الشبكات وفي هذا الصدد ، يطغى العولمى على المحلي – مالم يصبح المحلي مرتبطاً بالعولمي كعقدة في شبكات بديلة للعولمة أقامتها الحركات الاجتماعية [١٩] .

ولأن الشبكات الرقمية عالمية لأنها قادرة على إعادة تشكيل نفسها وفق توجيه مبرمجيها وتتجاوز الحدود المؤسسية والحدودية عبر شبكات كمبيوتر متصلة عن بعد . لذا ، يحمل أي هيكل اجتماعى تقوم بنيته التحتية على الشبكات الرقمية قدرة كامنة على أن يكون عالمياً وهذا ما يميز العملية الحالية للعولمة في الحجم والسرعة والتعقيد عن الصور السابقة للعولمة في الفترات التاريخية السابقة [٢٠] .

وبهذا المعني يصبح مجتمع الشبكات ، هو مجتمع العولمة لكن هذا لا يعني أن الناس في كل مكان منضوون تحت لواء هذا الشبكات ، فالغالبية ليست منضوية ، في الوقت الحالي ، لكن الجميع يتأثرون بالعمليات التي تجري في شبكات العولمة التي تشكل الهيكل الاجتماعي . وتنتظم

الأنشطة المحورية التي تشكل البشرية وتتحكم فيها ، في كل أركان الأرض ، في شبكات العولمة [٢١] .

وفي هذا السياق نجد أن المجتمع الشبكي عالمي في بنيته ويحافظ على تنظيمه الشبكي على المستوي العالمى بينما يكون له خصوصية في كل مجتمع [٢٢] .

ثالثاً – المجال العام والتحول إلى المجتمع الشبكي (إستراتيجية التطور):

إن التكنولوجيا الحديثة وتطبيقاتها قد خلقت عالماً موازياً يوجد على الإنترنت مما أدى إلى لجوء العديد من الأفراد والجماعات للعالم الافتراضي ممن لايرتبطون بعلاقة تفاعل حقيقية مع مؤسسات المجتمع الطبيعي ، وداخل بنية المجتمع الافتراضي تشكلت الشبكات الاجتماعية وأفرزت أشكالاً جديدة من الفعل الاجتماعي وخلقت فضاءات بديله واحتضنت جماعات افتراضية تكونت حولها قضايا ومسائل سياسية ، اجتماعية ، فنية ومهنية ... إلخ ، فضلاً عن بروز قادة رأي عام جدد لهم منابرهم الإعلامية وتقنياتهم الخاصة لحشد الجماهير وتعبئتهم . مما أدى لظهور فضاء عام جديد يخضع إلى أن يكون الرأي العام حراً في حركة المعلومات وتبادل الأفكار بين المواطنين ومن خلاله يمكن تشكيل رأي عام والتأثير فيه ، حيث يخلق حالة من الجدل بين الجمهور تمنح تأثيراً في القضايا العامة وتؤثر على الجهه الحاكمة . وتكمن أهميتها بالأساس في قدرتها الهائلة على ضمان مبدأ الديمقراطية وإمكانية الوصول والنفاذ إلى المعلومات ثم قدرتها على تجاوز احتكار المعلومة من قبل الدولة ، والمعرفة من قبل النخب المثقفة .

أ – المجال العام الهابرماسي " رؤية جينولوجية " :

حظيت فكرة المجال العام باهتمام على نطاق عالمي خلال حقبة التسعينات وذلك بعد نشر الترجمة الإنجليزية لرسالة الأستاذية التي كتبها هابرماس بالألمانية بعنوان : "التحول البنائي

للمجال العام ١٩٨٩" ونشرت لأول مرة عام ١٩٦٢، ولقد تساوق الانتشار العالمي لمفهوم المجال العام وفهمه على أنه الأداة الاتصالية في الممارسة السياسية الديمقراطية [٢٣] .

وبالرغم من أن هناك إجماع مابين علماء الاجتماع على أن هابرماس هو الذي وضع أسس نظرية المجال العام ، إلا أن هناك مايؤكد أن هابرماس لم يكن هو مخترع المجال العام ، حيث سبقة تراث نظري يعبر عن مجمل الافكار التي يتضمنها مفهوم المجال العام ، وهابرماس نفسه يشير في مقدمة كتابه إلى أن جذور المعاني التي يحملها مفهوم المجال العام تعود إلي مراحل تاريخية متنوعة [٢٤] . فهو يرى أن كانط المؤسس الحقيقي لمبدأ العمومية البرجوازي وبفضله بلور هيجل التصور الأيديولوجي لهذا الفضاء في حقل الحق والتاريخ وهو التصور الذي أدى إلي تشكيل الفهم الماركسي للدولة البرجوازية والخطاب الأيديولوجي المؤطر لحقوق الإنسان فيما بعد[٢٥] .

وترجع أصول المفهوم إلى تيار الفكر الأنجلو أمريكي ومفرداته ، وإسهامات المدرسة الألمانية والأوروبيه ، وهي إسهامات تأسست على تراث فلسفي ثري ، فضلاً عن أن جذور المفهوم اللغوية والدلالية تمتد إلى النظرية السياسية واليونانية والرومانية ، فمفهوم المجال العام يكشف عن جذور تاريخية تتسم بالتعقيد والتنوع ، وعلى أية حال ففكرته تعتمد على المناقشة والتفاوض والتفاهم المشترك للوصول إلى مصلحة مشتركة والتي تتضمن درجة معقولة من شفافية الاتصال بين الفاعلين المنخرطين في العملية الاتصالية ،[٢٦] .

ورغم تأثر مدرسة فرانكفورت الذي يعتبر هابرماس من روادها بأفكار كارل ماركس ، إلا أنها دعت إلى مراجعة جذرية للأفكار الماركسية وعملت على تحديثها لتكون أكثر انسجاماً مع متطلبات القرن العشرين ، وقد أخذ هابرماس بجانب من هذه الأفكار والموضوعات غير أنه توسع في معالجتها بطريقة أخرى ، إذ إنه يحلل نمو وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية منذ أوائل القرن

الثامن عشر حتى عصرنا الراهن ، ويتتبع نشوء المجال العام ثم انحطاطه وهبوطه ويمثل المجال العام في نظرة حلبة النقاش العام التي تدور تجسد اهتمام الناس وهمومهم [٢٧] .

وتكمن مساهمة الفيلسوف النقدي في إعادة نظره في بنية المفاهيم الرائجة آنذاك في حقل الفلسفة السياسية على الأخص تصور حنا أرندت حول مفهوم " الميدان العام " الذي صاغته أواخر الخمسينيات ، والسعي وراء بناء تصور بديل وفهم مغاير يأخذ بعين الاعتبار متطلبات المرحلة من أجل التأسيس لفعل سياسي ألماني جديد ينسجم مع مرحلة ما بعد النازية ، ويحاول هابرماس في قراءته لأرندت العودة إلى مساهمة الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط التي صاغها في كتابه صراع الكليات وفي مقالته الشهيرة جواباً على سؤال : ماهي الأنوار ؟ [٢٨] .

ولقد كان هدف هابرماس من استخدام مفهوم المجال العام هو توصيف الواقع الذي شهدته بعض المجتمعات الأوروبية ، وهذا ما يؤكده هابرماس نفسه ، حينما أشار إلى أن جذور المجال العام ترجع إلى العديد من المؤسسات الاجتماعية في المجتمع الأوروبي خلال فترة القرن الثامن عشر ، ولقد تطور هذا المجال العام بعد منتصف القرن الثامن عشر ليناقش الأمور والقضايا السياسية التي كانت في الماضي أمور خاصة بالدولة ، وبإدخال القضايا السياسية في دائرة الحوار النقدي وقف المجال العام ضد الدولة وفي مواجهتها [٢٩]. وبهذا المعنى فهو يلعب دور الوساطة بين المجتمع والدولة[٣٠] .

وهذه الفلسفة العقلانية التواصلية لدي هابرماس تسعى لضبط علاقة الفرد بالغير وإخضاع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخل المجتمع إلى أخلاقيات النقاش والحوار، بصفته مدخلاً لكل تعاقد اجتماعي يحتكم إليها الجميع . ، لذا فإن التداول أو التشاور مشروع هابرماس الرامي إلى بناء عقلانية في المجتمع المعاصر وهو أمر لا يتحقق دون ضمان شروط التفاهم باعتبارها تضمن نجاح الممارسة التواصلية اليومية .

هذا الطرح التواصلي للتفاعل بين الناس يمثل قيمة تأسيسية عند هابرماس على المستويين النظري والفعلي ، ففي هذا المعنى يحتاج العقل النظري والعقل العملي في ما بعد الحداثة إلى تبادل وجهات النظر بين الذات والآخر وإلى إرساء قواعد التبادل المجدي والحوار البناء الهادف إلى تأسيس معقولية عملية مشتركة .

وإجمالاً فإن فكرة المجال العام تحمل العديد من المعاني والمضامين المثالية التي تعبر عن الديمقراطية ومعان إنسانية سامية كحرية الرأي والتعبير والوصول إلى الاتفاق والإجماع العام حول الأشياء التي يمكن أن تحقق للإنسان حياة طيبة ، وهوبذلك يمثل المساحة التي يخرج إليها أفراد المجتمع بهدف الحوار والنقاش مع غيرهم فيما يتصل بالمسائل العامة والتداول الفكرى والمناظرات السياسية والاتصال ما بين الأفراد[٣١] . وهو بهذا يمثل عنصرا أساسيا من التنظيم السياسى الإجتماعى لأنه الفضاء الذي يجتمع فيه المواطنين للتعبير عن وجهات النظر للتأثير على المؤسسات السياسية للمجتمع [٣٢] .

ب – المجال العام بين الفضاءات التقليدية والافتراضية " المجال العام من حصار الواقع إلى الفضاء الافتراضي ":

شهدت المجتمعات الرأسمالية العديد من التحولات التي أثرت بشكل سلبي في فكرة " المجال العام " وما يتضمنه من اتصال حر وعقلانية في التفكير وتدخلت الحكومات الرأسمالية واخترقت المجال العام ووضعت العديد من القيود والكوابح التي أجهضت تشكيل المجال العام [٣٣] . فالمجال العام يرتبط بالسياقات الاجتماعية المنبثق عنها فلا يمكن إنكار أن المجال العام يعاني الأزمات وأبرزها عملية التآكل التي يتعرض لها [٣٤] .

ولهذا تعرضت بعض من جوانب نظرية هابرماس للنقد ، وربما أكثر أوجه النقد هو استخدام هابرماس لمفهوم المجال العام البرجوازى باعتباره المجال المثالي الذي اتخذه نموذجاً يقيس

عليه ، فلقد انتقده البعض وأشار إلى أنه ينطبق على فترات بعينها من التاريخ الأوروبى ، تلك التي كانت قبل أواخر القرن الثامن عشر ، وهذا بدوره جعل من تصور هابرماس للمجال العام بأنه ضيق للغاية ، ويدلل أصحاب هذه الرؤية على مايذهبون إليه من خلال تأكيدهم على أن تطور النظام الرأسمالى قد صاحبه العديد من المشكلات والتناقضات الإقتصادية . وبالتالي فقد تضررت المساحة العقلانية تاريخياً من قبل البرجوازية من خلال تطور الرأسمالية الاحتكارية والصفقات والمعاملات التي عقدتها من أجل استبعاد الجمهور من خلال وكالات الإعلان واستبدلت الخطاب العام العقلاني بسياسة القوة وتحول دور وسائل الإعلام المحوري والخطاب المثالى إلى اتصال مشوه[٣٥].

ومع ظهور تداعيات النظام الرأسمالي أصبحت تواجه بعض الدول النامية مشكلات في البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعجز المؤسسات الوسيطة التي كانت تلعب دورا في نقل مطالب الجماهير إلى النظام السياسى لكي يتم ترجمتها في شكل قرارات وسياسات [٣٦] . فضلاً عن طبيعة البنية التشريعية والإعلامية والمعلوماتية لبعض المجتمعات وما تعانية من نقص في الحريات الأساسية وحرية الرأي والتعبير والتواصل يمكن أن ندرك أهمية الفضاء الافتراضي [٣٧] .

ونظراً لتلك الاختلالات لجأ الأفراد المهمشون إلى تجاوز المؤسسات والقنوات في البيئة الواقعية إلى استخدام شبكات الإنترنت ووسائل الإعلام الجديد في التعبير عن مطالبها والضغط على النظام السياسى وكذلك التأثير في الرأى العام [٣٨].

وبهذا أجهض الواقع ما يسمي بالمجال العام ومع تأثير ثورة الاتصال والمعلومات ومن أهم تجسيداتها شبكة الإنترنت بدأ الحديث عن بزوغ المجال العام الافتراضي [٣٩] .

فالتكنولوجيا الحديثة وتطبيقاتها قد خلقت عالماً موازياً يوجد على الإنترنت ووفرت إمكانية تبادل الآراء والمناقشات الحرة وتحقيق درجة عالية من المشاركة في صنع القرارات والمشاركة

السياسية ، بالإضافة إلى توافر الحرية الكاملة لدى المواطنين في التعبير عن الرأي والتقويم الحقيقى للآداء وفعالية عمليات المحاسبة والرقابة ، فقد أكد مارتن هاجن على ما يمكن أن تقدمه هذه التقنية الجديدة في معالجة عيوب ممارسات الديمقراطية الحديثة التي تتمثل بالأساس في انحسار المشاركة من جانب المواطنين ونقص المعلومات المتاحة ، إذ تسهل عملية الربط بين المواطنين والمسؤليين الرسميين من ناحية ، كما أنها تعزز الشفافية والمحاسبة وتزيل الكثير من الغموض بشأن حرية المعلومات وسهولة الحصول عليها من ناحية أخرى .

وبهذا المعنى يمكننا القول بأن تحولات الحداثة المتأخرة قد أثرت على المجال العام وأصبح المجال العام يمثل بوتقة صهر للمجتمعات الإقليمية والمحلية والتقاليد والتراث القومى والشبكات الكونية والواقع الافتراضى ، وفي هذا الإطار يخرج علينا ديلانتي بفكرة المجال العام الكوني في محاولة منه لوضع تصور للتنوع الناجم عن العولمة كتصور شامل حول المجالات العامة المتعددة والمندمجة والتي تجمع بين المحلى والقومى والكونى إذ يظهر كل مكان منها على أنه موقع محتمل يمكن الوجود به ولكنه قابل للتحول على نحو مستمر نتيجة للاتصال بين هذه الأماكن ويتميز المجال العام بتعدد الهويات والتدفق المتعدد والتفاعل المفتوح [٤٠] .

وقد حاول الكثير من الباحثين دراسة حدود وقدرة وصلاحية الفضاء السيبرى الافتراضى الذى تكونه شبكة المعلومات الدولية في تشكيل المجال العام وذلك وفقاً للمعنى الذى طرحه الفيلسوف الألماني المعاصر هابرماس في مؤلفه الذي أكد فيه على أن المجال العام كمجتمع افتراضى أو خيالي لا يوجد بالضرورة في فضاء مميز ومحدد ولكنه في شكله المثالى يظهر إلى الوجود من خلال كل حوار يتجمع فيه الأفراد لتشكيل هيئة عامة تساعد في وضع وتحديد حاجات المجتمع مع الدولة.

ويمثل هذا النوع من التداول أو التشاور لب الديمقراطية التي تظهر عبر البيئة الرقمية التي تعبر عن المصاهرة العميقة التي تصل إلى حد التلاحم بين أدوات ممارسة المواطن لحقوقه وحرياته السياسية من ناحية وبين منجزات ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من ناحية أخرى ، وبالتالي يمكن حصر مهام المجال العام ووظائفه التي يضطلع بها على النحو التالى [٤١]:

أ- تنوير وتعليم المواطنين المستمر في إطار مناقشات جماهير المجال العام وذلك عبر تزويدهم بالمعلومات والبيانات الجديدة ذات الصلة بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المثارة في داخل المجتمع مما يساعد على تنمية قدرات المواطنين تجاه عملية المشاركة الديمقراطية في الشأن العام .

ب- تحديد وترتيب الأولويات والقضايا الموجودة في داخل الأجندة المجتمعية ووضعها في بؤرة العمل على تحقيقها ، بالإضافة إلى الدراسة العقلانية للقضايا والمشاكل التي تواجه المجتمع ومناقشة كافة البدائل المطروحة لحل ومواجهه تلك المشاكل تمهيداً لاختيار البديل الأفضل وتوصيله لمتخذي القرار.

ج- الوصول إلى فهم عقلانى مشترك حول القضايا والموضوعات الخلافية الموجودة في المجتمع مما يساعد على تشكيل هيئة جماعية لتوجيه القرارات السياسية

رابعاً – الملامح العامة للمجال العام الافتراضي :

أ – المجال العام في المجتمع الشبكى فضاء من الحرية والمشاركة :

يوفر الإنترنت مساحات اتصالية جديدة يمكن أن يجري من خلالها نقاشات ، فالإنترنت كونه شبكة الشبكات العالمية عمل على تمكين الناس من تبليغ وتثقيف أنفسهم والتعبير عن آرائهم والمشاركة في المجتمع المدني والعمليات الديمقراطية إلى حد لم يكن ممكناً من قبل ، وتشكيل

أنماط جديدة من المعلومات والمشاركة ، وأصبح يمثل واقع الشبكات الاجتماعية تحدياً لوسائل الإعلام التقليدية عن طريق طرح أشكال جديدة من الاتصالات مثل تمكين المستخدمين من تبادل وتوليد أوحتى إنشاء وإنتاج معلومات ، وبهذا أضافت شبكة الأنترنت أشكالاً أخرى من الاتصال كتلك التي تقوم بين جماعة وأخرى أو من جماعة إلى فرد بالإضافة إلى الأشكال التقليدية كالاتصال من فرد إلى جماعة ومن المتوقع أن مثل هذه المبادرات على شبكة الإنترنت سوف تعزز وتنوع المعلومات المتاحة وتسهل الوصول إلى المحتوى المولد من قبل المستخدم لتمكين المواطنين وضمان قدر أكبر من الشفافية والانفتاح [٤٢] .

ووفقا لزعم سميث وآخرون فإن تطوير أشكال جديدة من الاتصال عبر الإنترنت كبزوغ شبكات التواصل الاجتماعي ، تقدم توسع في الفرص للمشاركة المدنية والسياسية ، ويقدم سميث تفسيران لهاذا الإتجاه [٤٣] :

الأول : إن الأنماط الجديدة من التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي من الممكن أن تربط فئات من الناس التي لا تؤخذ وجهات نظرهم وآرائهم عادة في الاعتبار ، وذلك من شأنه أن يشجع ويحول الغير ناشطين إلى ناشطين في مسار المشاركة السياسية .

الثاني : يشير إلى العدد الهائل من مستخدمى الإنترنت وإمكانية تعبئتهم لمشاركتهم في أنشطة معينة ، وهذه الأنشطة من الممكن حدوثها بشكل واقعى أو على الإنترنت أوكليهما ، طالما كانت لديهم النية للتأثير على القرارات والممارسات الحكومية ويمكن القيام بذلك إما بطريقة مباشرة وهي التأثير في تشكيل بنية السياسات أوبشكل غير مباشر عن طريق التأثير في صانعي القرار للتأثير بشكل غير مباشر في من يقفوا وراء تلك القرارات .

ب – المجال العام في المجتمع الشبكي يتأسس ويقوم على قوة المعرفة :

شهدت عقود الثمانينيات والتسعينات من القرن العشرين تركيزاً ملحوظاً على موضوع

المعرفة وعلاقتها بثورة التكنولوجيا والاتصالات من ناحية ، وعلاقتها بتنامي المجتمع المعلوماتي من ناحية أخرى ، وقد جاء ذلك مصاحبا للوعي الكامل بالأهمية الوظيفية للمعرفة والناتج بدوره عن تغلغل تقنيات المعلومات والاتصالات في بنية الحياة الاجتماعية وتحكمها بشكل عضوي في شبكة العلاقات الاجتماعية للإنسان المعاصر[٤٤] .

وقد نالت ظاهرة العولمة وتجلياتها الاتصالية والمعلوماتية والثقافية اهتماماً كبيراً لتأثيرها على وظائف الاتصال والإعلام في مجتمع المعلومات حيث تقوم على الارتباط الشديد بين دول العالم عبر إستخدام تكنولوجيا الاتصال وقد أدى ذلك إلى تحويل العالم بطابعه المادى إلى عالم رقمى إفتراضي ، حيث انتقلت كافة مجالات الحياة لتأخذ طابعاً رقمياً يدور في فلك الفضاء الإلكتروني[٤٥] . فالعولمة بهذا المعني هي تجسيد للتطورات الحياتية والفكرية والتكنولوجيا المتلاحقة التي تؤدى إلى انكماش العالم من حيث الزمان والمكان .

وأدي هذا التطور السريع للإنترنت خاصة الشبكات الاجتماعية ، إلى تنامي وإزدياد شعبية المجتمع الافتراضي ، فالإنترنت منصة للنقاش ويسمح كذلك لمستخدمين شبكات التواصل بالتبادل السهل والسريع لوجهات النظر والأفكار مع الآخرين حول العالم ، إن مجتمع الإنترنت قد غير طريقة ونمط حياة معظم الناس ، وهو أيضاً قد حسن من عملية تقاسم المعرفة للمؤسسات والأفراد ، فمستخدمي الشبكات الذين يشتركون في نفس الاهتمامات والهوايات يمكنهم مناقشة موضوعات ذات الاهتمام وتشارك تجربة شخصية وأفكار وتقديم خبرة كحلول لمشاكل مستخدمين آخرين ، وتسمح مواقع الشبكات الاجتماعية للمستخدمين الذين يريدون المعرفة للبحث وجمع المعلومات والحصول على مهارة احترافية مفيدة لاكتساب المعرفة الضرورية لحل المشاكل ومن خلال اكتسابهم لهذه المعارف تنمو قدرتهم على حل المشاكل التي يواجهونها ، ومن ناحية أخرى أصبح حجم المعلومات والبيانات يتاح بشكل فوري وضخم أمام العديد من الأشخاص بما أدى إلى زيادة المعرفة بمن ؟ وكيف؟ ولماذا؟ وأين ؟ حول العديد من القضايا وتم

إتاحة الفرصة أمام الجمهور لأن ينتج مادته ويقدم معلومات يكون لها نصيب من الانتشار والتأثير عبر وسيلة إعلام سهلة ورخيصة [٤٦] . وكشف بحث اهتم بدراسة أعضاء جماعات الفيسبوك وتشاركهم للمعرفة عن أن هذه المجموعات يتزايد اتجاههم لتشارك المعرفة من خلال[٤٧]:

أ – المعيار الذاتي : فحينما يجدون أن تشارك مفيد للآخرين يتوقع الأفراد الآخرون منهم القيام بذلك ، فثقافة التشارك في شبكات التواصل الاجتماعي أنهم يشعرون أن التشارك متوقع وأنه من العدل التشارك حينما ساعدهم الآخرون .

ب – السمعة : إن السمعة المتوقعة لأعضاء مجموعات الفيسبوك سوف تؤثر بطريقة إيجابية نحوتشارك المعرفة فهم يعتقدون أن المشاركة في مجموعات يمكن أن تعزز سمعتهم خلال تشارك المعرفة وتعزيز مكانتهم الاجتماعية .

ج – الإحساس بتقدير الذات : يدرك أعضاء مجموعات الفيسبوك قيمهم الخاصة في مساعدة الآخرين أن يعرفوا شيئاً ما فقد وجدوا أن تشارك المعرفة أمراً ممتعاً " علاقة طردية بين تقدير الذات وتشارك المعرفة " .

وبذلك يتشكل المجال العام عبر هذه السياقات التي يمكن لأي شخص أن يشارك فيها دون أن يكون المشاركون فيها على معرفة ببعضهم البعض ، وبالرغم من ذلك فإنهم يتقاسمون فهماً عاماً للعالم المحيط بهم وهم يطورون هوية مشتركة تطور اهتماماً جمعياً بنصوص مشتركة [٤٨] .

ج- المجال العام في المجتمع الشبكي مجال عالمي " يتشكل على نحو عالمي وينتظم على غرار شبكي ":

إن ما يميز العولمة الاتصالية الحالية التي نعيشها هو امتلاك القدرة على إقامة الشبكات

على مستوى العالم التي توفرها تكنولوجيا الاتصال الرقمى ونظم المعلومات للعولمة في الفترات التاريخية السابقة [٤٩] . وبناء على هذا فإن المجال الاتصالى العام يقرب البلاد والثقافات في نطاق التدفق العالمي للمعلومات على مدار الساعة [٥٠] .

فالشبكات الرقمية عالمية لأنها قادرة على إعادة تشكيل نفسها وفق توجيه مبرمجيها ، وتتجاوز الحدود المؤسسية والحدودية عبر شبكات الكمبيوتر متصلة عن بعد ، لذا يحمل أي هيكل اجتماعي تقوم بنيته التحتية على الشبكات الرقمية قدرة كامنة على أن يكون عالمياً [٥١] .

وكنتاج لحركات التشكيل الجديدة لأنساق عالمية وبالأحرى نسق عالمي جديد ترتب على هذا النسق الجديد فاعلين جدد هؤلاء الفاعلين الجدد لا ينضمون إلى قومية واحدة ولا مجتمع واحد بل تشكل هؤلاء الفاعلون الجدد من مجتمعات وقوميات مختلفة يتواصلون ويتقاربون عبر الشبكات التي قدمت تسهيلات لهؤلاء الفاعلين الجدد من الانخراط في مجتمعات كوكبية تخرج من إطار المحلية وتخرج من تحت سيطرة الدولة القومية بل تضيق بهؤلاء والدولة القومية ليخرجوا إلى فضاء جديد هو الفضاء الرمزي وعلاقات جديدة تتجاوز العلاقات القومية إلي علاقات أخرى على المستوى الافتراضى وليس الواقعى [٥٢] . فالمجال العام موجود على مستوى العالم في وقت آني إنه عالمي في بنيته ويحافظ على تنظيمه الشبكي على المستوى العالمى بينما يكون له خصوصية في كل مجتمع كنتاج لهذه الحركة من العمومية والخصوصية [٥٣] .

فمجتمع الشبكات هو إذن مجتمع العولمة لكن هذا لا يعني أن الناس في كل مكان منضوون تحت لواء هذه الشبكات فالغالبية ليست منضوية في الوقت الحالي ، لكن الجميع يتأثرون بالعمليات التي تجرى في شبكات العولمة التي تشكل الهيكل الاجتماعى ، لذا فالاستبعاد من هذه الشبكات وهو يتخذ غالباً شكل عملية الاستبعاد التراكمى بمثابة تهميش هيكلى في مجتمع شبكات العولمة [٥٤] .

ويمثل مجتمع الشبكات العالمي بناء ديناميكياً شديد الاستجابة للقوى الاجتماعية والثقافية والسياسية والإستراتيجيات الاقتصادية ، لكن ما يبقي في كل الحالات هو هيمنتها على الأنشطة والأشخاص من خارج الشبكات وفي هذا الصدد ، يطغى العولمى على المحلى – ما لم يصبح المحلي مرتبطاً بالعولمي كعقدة في شبكات بديلة للعولمة أقامتها الحركات الاجتماعية [٥٥] .

د- المجال العام في المجتمع الشبكى غير محدد بزمان ومكان " يتحول لزمن لا زمنى ، وإلى مكان للتدفقات ":

يعد التباعد بين الزمان والمكان كما أطلق عليه أنتوني جيدنز من أهم الخصاص التي صاحبت عولمة الحداثة ، فمنذ بزوغ الحداثة صاحبها سعي حثيث نحو العالمية ونحو تخطي الزمان والمكان ، ولذلك فإن البحث في عولمة الحداثة ليس بحثاً جديداً [٥٦] .

فالحداثة خلقت علاقة بين الحاضر والغائب ، فأصبح الحاضر ينكشف على أحداث وصور اجتماعية غائبة في الزمان والمكان ، فضلاً عن عمليات التوسيع المستمرة للعلاقات الاجتماعية عبر العالم بحيث تترابط النطاقات المحلية المتباعدة ويصبح كل منهما أكثر تأثراً بالنطاقات والأحداث البعيدة عنه[٥٧] .

فإن عيش الإنسان الزمان والمكان بوصفهما أمرين محليين يكاد ينتهي ، ولم يعد لقيود المكان أن تحد من الحجم المتنامى للنشاط البشري فالمجتمع الشبكي يعرف تطوراً متواصلاً ومن هذا المنطلق تخوض المجموعة البشرية في المجتمع الشبكي تجربة الزمن باعتباره تجربه لا زمنية وتجربة المكان باعتبارها تجربة غير محددة بمكان [٥٨] . ومن ثم تتشكل ثقافة المجتمع الشبكي اللازمانية واللامكانية في كل مكان لكنها لا تأتي من أي مكان وقد وصفها كاستلز بعبارة مابعد حداثية " ثقافة الواقع الافتراضي" .

إن خلخلة العلاقة بين الزمان والمكان تحول الزمان إلي زمان كونى مفتوح وتحول المكان إلى مكان كوني مفتوح ، فلم يعد المكان مغلقاً على مجموعة من الفاعلين الحاضرين في علاقات الوجه بالوجه ، بل أصبح مجالاً مفتوحاً لتفاعلات أبعد من نطاقه المحدد يدخل فيها فاعلون غير موجودين بالمكان وأحداث لا تحدث في ذات المكان ، وبنفس الطريق لم يعد الزمان زمناً محدداً مغلقاً بل أصبح زمنا مفتوحاً لا علاقة له بالمكان ولقد مكنت هذه الخصيصة من خصائص الحداثة من أن تنطلق عبر المكان والزمان دون قيود كما مكنتها من أن تطور نظماً عقلانية لربط ما هو محلي بما هوعالمي [٥٩] .

خامساً – المعايير المؤسسة للمجال العام في المجتمع الشبكي :

إن المتأمل للهدف الأساسى والغرض الرئيسى من وجود مجال عام – حسب رؤية هابرماس – يتمثل في الوصول إلى فهم عقلانى مشترك حول القضايا والموضوعات الخلافية الموجوده في المجتمع مما يساعد على تشكيل هيئة جماعية لتوجيه القرارات السياسية . وبنفس المعايير التي وضعها هابرماس لبناء مجال عام في المجتمعات الديمقراطية والرأسمالية يمكن سحب هذه المعايير على الوضعية القائمة حالياً في المجتمعات العالمية ، والتى أخذ فيها الإعلام الجديد دوره ومكانته فيها بقوة متنامية ، وهذه المعايير هي التي تؤثر في حجم الانتشار والتأثير لوسائل الإعلام الاجتماعى بشكل خاص ضمن منظومة الإعلام الجديد وهي أيضاً التي تساعد على نجاح مفهوم المجال العام . مما يجعل من المعايير المؤسسة للمجال العام معيار للحكم على مدى صلاحية المجال العام القائم في المجتمع الشبكى ، وبالتالي مدى توافق المعايير وتحققها على المستوى الافتراضى يجعل من الشبكات الإجتماعية تربة خصبة لقيام مجال عام بالمعنى الهابرماسى .

حدد هابرماس المعايير والشروط التي عن طريقها يمكن الاحتكام لوجود مجال عام من عدمه فهي بمثابة ركائز يقوم عليها المجال العام ، وقد صاغها هابرماس في ثلاثة معايير نذكرها على النحو التالي :

أ- تجاهل المكانة: disregard status

إن المتأمل لطبيعة التفاعلات الاجتماعية على المستوى الافتراضي يجدها تتسم بتعددية المراكز وتبادلها فهذه العلاقات لا مركز لها ، فلا يوجد سلطة مركزية توجه الحديث فكل فرد يستطيع أن يكون مركز الجماعة في أحيان كثيرة وكل فرد يستطيع أن يقوم بفرض سيطرة على الحوار، ولكن الجماعات الافتراضية كلها تفاعلات لا مركزية فتبادل الأدوار وارد إذ تسمح هذه التفاعلات بتعدد المراكز في الوقت ذاته ، ومن هنا يمكن أن يكون للجماعة الافتراضية أكثر من مركز في موضوع الاهتمام الواحد وهذا المركز ليس حكراً على فرد مهيمن ولكن يخضع للتبادل حسب رغبة الداخل في الحوار في معظم الأحوال [٦٠] .

ونتيجة تلاشي وتجاهل تأثير التراتبية " الهيراريكية " الناتج عن تجاهل المكانة وتعدد المراكز فإن ذلك يدعم نقاش أفضل[٦١] .

والإنترنت متاح للجميع خاصة ممن يتم تجاهلهم في وسائل الإعلام التقليدية ، فالإنترنت ليس مقتصراً على أناس محددين ، رغم وجود عقبات وحواجز فيما يتعلق بالمعلومات المتاحة على الإنترنت وكذلك فيما يتعلق بالفجوة الرقمية فالأفراد والجماعات لهم حرية النفاذ إلى نفس المعلومات وجعل المعلومات متاحة .

ب- القضايا المطروحة لابد أن تكون ذات اهتمام مشترك

common concern

يمكن الزعم بأن القضايا التي يتم تداولها عبرالشبكات ذات اهتمام مشترك ، فالدخول إليها والمشاركة في النقاشات حرة وفقط من يهتموا يتشاركوا الاهتمام مع الآخرين هم الذين يشاركون النقاش مما ينعكس على النقاش[٦٢] .

ج- الشمولية inclusivity

يمثل الاستبعاد الدائم لبعض الجماعات، المعضلة التي يواجهها المجال العام وذلك على العكس من الإنترنت حيث لا توجد إستثناءات في الاستبعاد من المشاركة في الجدل السياسي أوالاجتماعي وبالتالي يمكن لأي فرد أن يشارك في هذه الجدليات مما ساعد على تحقيق الشمولية في الاتصال ، ولا نمحو فكرة الاستبعاد في الفضاء الافتراضى ، فالإنترنت يعانى الفجوة الرقمية ففي العديد من المجتمعات الفقيرة يتم استبعاد الفئات المحرومة فتلك المجتمعات لا تملك الموارد والبنى التحتية والمهارات أيضاً اللازمة للوصول والنفاذ إلى الإنترنت [٦٣]. ومنذ بزوغ أشكال ووسائل الإعلام الإلكترونية التي تقوم على الشبكات العالمية في الإنتاج والتوزيع للمعلومات ، أدى إلى نتاج مختلف للمجال العام ومن ثم طور شكلاً مختلف للعمومية " الكوزموبليتانية " أو المجال العام العالمي [٦٤].

وفي هذا السياق أوضح دالغرين أن المجال العام يتشكل ويتألف داخل الساحات الافتراضية من خلال ثلاثة أبعاد *:

١- البعد الهيكلى Structural dimension

ويرتبط ذلك بملامح وسمات المؤسسات الرسمية فهي تضم المؤسسات الإعلامية باقتصادها السياسى والملكية ، السيطرة والتحكم والضبط ، النظام " التنظيم " ، قضايا التمويل ، وكذلك الأطر التشريعية والقانونية التي تحدد الحرية والقيود على الاتصال[٦٥] .

وفيما يتعلق بالإنترنت في هذا البعد فإن البعد الهيكلي يوجه انتباهنا للطريقة التي تشكل بها المساحات التواصلية بطريقة ديمقراطية ، فبناء المساحات الافتراضيه يشبه كثيراً بناء المساحات المادية الحقيقية ، وهوما يوحي على الفور بخلق مناخ للتفاعل ، فقد ارتبط بناء المساحات على شبكة الإنترنت بمجموعة من السلوكيات يمكن النظر إليها على أنها قامت بتحرير التعبير من الأغلال التي كانت تقيده، وذلك عن طريق العناصر والخصائص التي يوفرها الإنترنت كالمجهولية التي يمكن من خلالها عدم الإفصاح عن الهوية الحقيقية للفرد ، أو محاكاة الحياة الحقيقية في البيئة الافتراضية ، مما يعنى أن هناك تأثير للمعالم البنائية للمساحات الافتراضية على تقديم الذات والتعبير عنها [٦٦] .

٢- البعد التمثيلي " التوضيحي " Representational dimension :

ويشير إلى مخرجات وسائل الإعلام ، فوسائل الإعلام الجماهيرية تستهدف جماعات محددة كالمواد الترويحية لحمله ما ، النشرات الإخبارية .... وتغفل عنصر التفاعل الحقيقى الذي يهدف لاستيضاح وفهم الأمور باعتباره إعلام وحيد الاتجاه ، وذلك على العكس من سياقات المجال العام التي يصبح فيها هذا البعد جلياً ففي هذا البعد يستطيع المرء أن يطرح الأسئلة ويقيم مخرجات الإعلام وما يتضمنها من : نزاهة ، دقة ، اكتمال المعلومة والرؤية ، تعدد وجهات النظر ، من خلاله يمكن وضع جدول الأعمال " أجندة " ، الميول ، الاتجاهات الأيديولوجية .... وهلم جراً ، فالإنترنت بسياقاته المختلفة أصبح اليوم يمثل مدخلاً لبناء الأجنده وهذا المدخل يقوم على اعتبار أساسي مؤداه أن هناك قوى ومستويات تشكل أجندة وسائل الإعلام . منها مستوى ما وراء الإعلام باعتبار الجمهور أحد القوى الخارجية ومدى قدرته على التأثير في بناء الأجندة في ظل الاستخدام المكثف والمتزايد لوسائل الإعلام الجديدة[٦٧] . حيث يتم استجلاء القضايا وفهمها من خلال التداول أوالمداولات المشتركة التي تتم داخل سياقات المجتمع الافتراضى [٦٨] .

٣- بعد التفاعل: Interactive dimension

تتضح هنا مقولة كاهين وكيلر التي أكدا عليها بأن الاحتياج الذي يدفع بالإنسان إلى المشاركة في التفاعل الاجتماعي هو، على الأقل ، بقوة الاحتياج إلى المعلومات نفسها [٦٩] . لذلك نرى فى جماعات الإنترنت ينجذب الأفراد نحو أولئك الذين يمكن تقاسم المصالح والاهتمامات معهم . بمعنى يمكن إيجاد نسق المشاركة ، وإشباع حاجة التفاعل الاجتماعي ، واستبدال المشاعر، والاهتمامات ، والمعلومات .

ومن ثم إنشاء بيئة إجتماعية أقرب ما تكون لواقع الحياة على شبكة الشبكات ، مكوناً بذلك مجتمع افتراضي له خصائصه المتشابهه ، وآلية عمله المتآلفة مع أعضائه [٧٠] .

تعقيب :

تواجه أطروحة هابرماس بشأن المجال العام وتشكله في المجتمع الطبيعى ما يعيق تحققها بالشكل الذي تصوره هابرماس . ومع ظهور الإنترنت وما تتيحه طبيعة البنية الافتراضية من ساحات للتفاعل داخل سياقاتها ، بدأ الحديث عن توفر بيئة خصبة تمثل وعوداً لإعادة إحياء المجال العام ، فمع الإقبال المتزايد على الاستخدام وعدم اقتصار هذه الوسائل التكنولوجية على التواصل الإجتماعى وفق الغرض الذى أنشأت من أجله ، تنوعت استخداماتها و وجد فيه الأفراد قدراً من الحرية يسمح لهم بالتعبير والتنفيس عما بداخلهم والتناقش فيما بينهم والالتفاف حول اهتمامات معينة . ومع هذا التنامى فى الكم والكيف ، بزغت أيضاً عدد من المخاطر والمعوقات التى تهدد وتقلل من صلاحية المجال العام بشكله الافتراضى ، مما يستنفر البحث وراء عدد من التساؤلات حول هذا المجال العام في عدد من الجوانب ، هل ساحات النقاش المطروحة على

الفيسبوك تمثل ساحات لتشكل مجال عام حقيقية ؟ هل يقارب الخطاب عبر الإنترنت ظروف المجال العام على النحوالمبين في نظرية هابرماس ؟ وما مدى تواجد المعايير التي وضعها هابرماس على النحوالافتراضى ؟ وما هى الضوابط التي يمكن من خلالها إثراء المجال العام ؟ ما هو مردود النقاش عبر الساحات الافتراضية على البيئة الواقعية ؟ كيف يمكن استثمار هذه الفضاءات وتطويرها ؟

هوامش ومراجع البحث:

([1]) إبراهيم البيومي: أصول المجال العام وتحولاته في علم الإجتماع السياسي والإسلامي، مجلة الشريعة والداسات الإسلامية ، العدد ١٥ ، فبراير ٢٠١٠، ص ١٥١ .

([2]) Lincoln Dahlberg & Eugenia Siapera: Radical Democracy and Interne , Interrogating Theory and Practice, Palgrave Macmillan, 2007, p 129.

([٣]) محمد رحومة : علم الإجتماع الآلي ، عالم المعرفة، الكويت ،عدد ٣٤٧، يناير ٢٠٠٨.، ص ٣٨.

([4]) Petros Iosifidis, the Public Sphere, Social Networks and Public Service Media, Information Communication and Society, Volume 14, Number 5, 2011, P620.

متاح علي :

http://openaccess.city.ac.uk/1249/

([5]) J.Clyde Mitchell, Social Networks, Nuffield College, Oxford, England, 2004, P279.

([٦]) عادل عبد الصادق : الفضاء الإلكتروني والرأي العام تغير المجتمع والأدوات والتأثير ، سلسلة قضايا إستراتيجية ، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني ، مارس ، ٢٠١١، ص ٤ .

([٧]) السيد يسين : إعادة إختراع السياسة من الحداثة إلي العولمة ، سلسلة العلوم الإجتماعية ، مكتبة الأسرة الهيئة ، المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٧٤.

(٨) دارن باربي : المجتمع الشبكي ، ترجمة أنور الجمعاوي ، سلسلة ترجمان ، الطبعة الأولي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، فبراير ٢٠١٥ .، ص ٢٩ .

(٩) المرجع السابق ، ص٣١.

(١٠) وليد رشاد زكي : المتغيرات المؤسسة لرأس المال الإجتماعي في المجتمع الإفتراضي – دراسة علي عينة من المتفاعلين عبر الشبكة الدولية للمعلومات ، رسالة دكتوراه ، قسم الإجتماع ، جامعة عين شمس ، ٢٠١٢ ، ص٧٠ .

(١١)السيد يسين : إعادة إختراع السياسة من الحداثة إلي العولمة ، مرجع سابق ، ص١٧٥.

(١٢) أحمد زايد : تناقضات الحداثة في مصر ، مرجع سابق ، ص١٤.

(١٣) السيد يسين : إعادة إختراع السياسة من الحداثة إلي العولمة ، مرجع سابق ، ص١٧٥.

(١٤) السيد ياسين : المرجع السابق ، ص٢١٠ .

(١٥) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(١٦) دارن باربي : المجتمع الشبكي ، مرجع سابق ، ص ١٤.

(١٧) المرجع سابق ، ص٣٩ .

(١٨) مانويل كاستلز : سلطة الإتصال ، ترجمة وتقديم محمد حرفوش ، المركز القومي للترجمة ، الطبعة الأولي ٢٠١٤ ، ص٥٤.

([19]) Manuel Castells: Informationalism, Networks, and The Network Society: A Theoretical Blueprint, Northampton, MA: Edward Elgar, 2004, P35.

*مانويل كاستلز : بروفسور في علم الاتصالات، يشغل كرسي الأستاذية في واليس أننبرغ للإتصالات والتكنولوجيا والمجتمع ، في مدرسة أننبرغ للإتصالات ، التابعة لجامعة جنوب كاليفورنيا ، لوس أنجلس ، الولايات المتحدة ، ومدير مشروع الإنترنت كاتالونيا في جامعة أوبرتا في كاتالونيا في برشلونه ، وأستاذ للتخطيط بجامعة كاليفورنيا في بيركلي وأستاذ متميز في التكنولوجيا والمجتمع بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا ، وله العديد من المؤلفات أبرزها" ثلاثية عصر المعلومات : الاقتصاد والمجتمع والثقافة "ويقع في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول "صعود المجتمع الشبكي " والجزء الثاني عنوانه " قوة الهوية " والثالث عنوانه " نهاية الألفية " .

(٢٠) مانويل كاستلز : سلطة الإتصال ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

([21]) Manuel Castells: the New Public Sphere: Global Civil Society, Communication Networks, and Global Governance, the Annals of the

American Academy of Political and Social Science, SAGE, March 2008, P81.

متاح علي :

http://ann.sagepub.com/content/616/1/78

(٢٢) مانويل كاستلز : سلطة الإتصال ، المرجع سابق ، ص٦٧ .

(٢٣) أرماندو سالفاتوري : المجال العام " الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام ، ترجمة أحمد زايد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، الطبعة الأولي ، ٢٠١٢ ، ص١٩.

(٢٤) خالد كاظم أبو دوح : مفهوم المجال العام " الأبعاد النظرية والتطبيقات " مجلة إضافة ، العدد ١٥ ، ٢٠١١ ، ص ١٤٣.

(٢٥) رشيد العلوي : الفضاء العمومي من هابرماس إلي نانسي فريزر ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، الرباط ، المملكة المغربية ، د. ت .

(26) http ://www.moqatel.com/openshare/behoth/almajalalam.doc_cvt.htm

(٢٧) أنتوني جيدنز : علم الإجتماع مع مدخلات عربية ، ترجمة فايز الصباغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ٢٠٠٥ ، ص٥١٢:٥١٣ .

(٢٨) رشيد العلوي : الفضاء العمومي من هابرماس إلي نانسي فريزر ، مرجع سابق ، ص٥.

(29) http://alexandriamedia.blogspot.com.eg/2014/05/blog-bost.html

*ولد هابرماس في دوسلدورف في ألمانيا عام ١٩٢٩ ويعد من أهم علماء الإجتماع في عالمنا المعاصر ويشكل الوريث المعاصر لمدرسة فرانكفورت النقدية ، وينطلق هابرماس من واقع ألمانيا فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، و ما تقتضيه الشروط السياسية من التأسيس لمشروع يتجاوز الكوارث التي تسببت فيها النازية ، وهي المرحلة التي تنعت بما بعد النازية . إذ خاض هابرماس صراعا مريرا ضد بقايا النازية في الجامعة الألمانية ، فحرم من التدريس ، ومساهمة الفلاسفة المعاصرين للفكر النازي ، وعلي الأخص مساهمة هايدجر التي خص لها هابرماس حيزا كبيرا في إنتاجاته الفلسفية اللاحقه ، وينسجم هم هابرماس السياسي مع ميوله الفلسفية والمعرفية ، ومكنه عمله فلاسفه الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت من تقويه ممانعه نقدية للفكر النازي " الإشتراكية القومية " وتدخل بشكل مباشر في النضال الطلابي اليساري الذي نظر له في مرحلة الخمسينيات ، وعيا منه بأهمية النضال السياسي الذي يقوم به الطلاب اليساريون آنذاك في الجامعة ، ويصعب الإلمام بكل حيثيات صعود هابرماس وبالسياق العام والخاص الذي جاءت فيه مساهمته في بناء تصور جديد للبناء العام ، ونكتفي بالقول إن كتابه الفضاء العمومي : أركيولوجيا العمومية كبعد مؤسس للمجتمع البرجوازي " الذي نشره سنة ١٩٦٢ ، هو أطروحة الدكتوراه الثانية

التي قدمها سنة ١٩٦١ بجامعة مابورغ وقد كانت أطروحته الأولي حول فردريك شيلنج وقد أنجزها سنة ١٩٥٤ علي شكل بحث ضخم في العلوم السياسية والإجتماعية ، تناول فيها موضوع الأركيولوجيا الإجتماعية والتاريخية للرأي العام نمطا من الهيمنة المؤسساتيه داخل المجتمعات البرجوازية الحديثة ومع المرحلة الثانية تطور فكر هابرماس السياسي الفلسفي أي مرحلة العقلانية التواصلية التي يدشنها في بداية الثمانينيات بنظريته حول " الفعل التواصلي " بهدف تجديد النظرية النقدية .

(٣٠) رشيد العلوي : الفضاء العمومي من هابرماس إلي نانسي فريزر ، مرجع سابق ، ص١١.

(٣١)خالد كاظم ابو دوح : مفهوم المجال العام ، الأبعاد النظرية والتطبيقات ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

(32) Manuel castells, The New Public Sphere: Global Civil Society, Communication Networks, and Global Governance, op.cit, p78.

(٣٣) خالد كاظم أبو دوح : مفهوم المجال العام ، الأبعاد النظرية والتطبيقات ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

(٣٤) وليد رشاد : المتغيرات المؤسسة لرأس المال الإجتماعي في المجتمع الإفتراضي ، مرجع سابق، ص ٥٤ .

(35) Petros Iosifidis: The Public Sphere, social networks and public service media, op.cit, p3.

(٣٦) عادل عبد الصادق : الإعلام الجديد ، وبروز الفاعليين الجدد في المجال العام " حالة إستخدام الحملات الإلكترونية " ، ، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤتمر الإعلام والتعبئة الحكومية في مصر في الفترة من ٥-٦ يوليو ٢٠٠٩ ، ص٣.

(٣٧) أشرف جلال حسن : أثر شبكات العلاقات الإجتماعية التفاعلية بالإنترنت ورسائل الفضائيات علي العلاقات الإجتماعية والإتصالية للأسرة المصرية والقطرية : دراسة تشخيصية مقارنة علي الشباب وأولياء الأمور في ضوء مدخل الإعلام البديل ، مؤتمر الإعلام والأسرة وتحديات العصر في الفترة من ١٥-١٧ فبراير ، ٢٠٠٩ ، جامعة القاهرة –كلية الإعلام ، ص ٥ .

(٣٨) عادل عبد الصادق : الإعلام الجديد ، المرجع السابق ، ص ٣ .

(٣٩) خالد كاظم ابو دوح : مفهوم المجال العام " الأبعاد النظرية والتطبيقات " ، مرجع سابق ، ص١٤٦ .

(٤٠) رشيد العلوي : الفضاء العمومي من هابرماس إلي نانسي فريزر ، مرجع سابق ص ١٠ .

(٤١) إسلام حجازي : الثقافة الإفتراضية وتحولات المجال العام السياسي – ظاهرة الفيسبوك في مصر نموذجاً ،المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢ .

(٤٢) آنا دوباتكا ، مايكل هيلز وآخرون : حرية الإتصال – حرية التعبير ، تغيير البيئة القانونية و التنظيمية الداعمة للإنترنت ، ترجمة الوكالة السويدية للتعاون الإنمائي ، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، اليونسكو ، ٢٠١٣ ، ص ١١ .

([43]) Lize-Marié Smuts, Social Networking Sites as A New Public Sphere: Facebook and Its Potential To Facilitate Public Opinion as The Function of Public Discourse –A Case Study of The 2008 Obama Campaign, Thesis Presented For The Degree of M.Phil (Politicalmanagement), Stellenbosch University, 2010, P 44.

(٤٤) عادل عبد الصادق : الديمقراطية الرقمية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٤٥)المرجع السابق ، ص٢٧ .

(٤٦) عادل عبد الصادق : الفضاء الإلكتروني والرأي العام " تغير المجتمع والأدوات والتأثير " ، سلسلة قضايا إستراتيجية ، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني ، مارس ٢٠١١، ص ١٢ .

([47]) Shih-Ming Pi, Chen-Huei Chou, et al: A Study of Facebook Groubs Member's Knowledge Sharing, Computer in Human Behavior, Elsevier, 229, 2013, P177.

(٤٨) عادل عبد الصادق : الفضاء الإلكتروني والرأي العام ، مرجع سابق ، ص٨ .

(٤٩) مانويل كاستلز ، سلطة الإتصال ، مرجع سابق ، ص٥٥ .

(٥٠) المرجع السابق ، ص١٩٩ .

(٥١) المرجع السابق ، ص٥٤ .

(٥٢) وليد رشاد زكي : المتغيرات الفاعلة في المجال العام الإفتراضي – رؤية سوسيولوجية – نسخة أولية للنقاش ، المؤتمر السنوي الحادي والعشرون للبحوث السياسية بعنوان " تحولات المجال العام في مصر : تنامي الصراع ومستقبل التوافق الإجتماعي " ، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ، في الفترة من ١١– ١٢ ديسمبر ٢٠٠٧ ، ص ١٦ .

(٥٣) مانويل كاستلز : سلطة الإتصال ، مرجع السابق ، ص٦٩ .

(٥٤) المرجع سابق ، ص٥٥ .

(٥٥) المرجع سابق ، ص٥٦ .

(٥٦) أحمد زايد : تناقضات الحداثة ، مرجع سابق ، ص١٣ .

(٥٧)المرجع السابق ، ص ٢٠.

([58]) Manuel Castells: The Rise of The Network Society, Wiley-Blackwell, Second Edition, 2010, P62.

(٥٩) أحمد زايد : تناقضات الحداثة ، مرجع سابق ، ص ١٤،١٥ .

(٦٠) وليد رشاد زكي : المتغيرات الفاعلة في المجال العام الإفتراضي ، مرجع سابق ، ص٦

(٦١) Lize-Marié Smuts: Social Networking Sites as a New Public Sphere, Ibid, p18

(٦٢) Lize-Marié Smuts : Social Networking Sites as a New Public Sphere , Ibid, p18

(63) Lize-Marié Smuts, Ibid, p 76.

(٦٤) مانويل كاستلز: سلطة الإتصال ، مرجع سابق ، ص ١٣٥.

* للاستزادة يمكن الرجوع إلي :

(1) peter Dahlgren, The Internet, Public Spheres, and Political Communication: Dispersion Deliberation, Political Communication, Routlege, 2005, p 148 .

(65) Lize-Marié Smuts: Social Networking Sites as a New Public Sphere, Ibid, p79.

(٦٦) شريف درويش اللبان : الفيسبوك والإعلام البديل ، مؤتمر الفيسبوك والشباب ، مركزالدراسات الإستراتيجية ، يوليو ٢٠٠٩ ، ص١٤.

(67) Wolfgang Donsbach,Michael W. Traugott: The Sage Handbook of "Public Opinion Research", Sage Publications Ltd, London, 2008, P149.

(68) Teraje Rasmussen, Two Faces of Public Sphere, Op.Cit, P14.

(٦٩)علي محمد رحومة : علم الاجتماع الآلي ، مرجع سابق ، ص٧٩ .

(٧٠)المرجع السابق ، ص ٨٠ .